

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنُثَوِّبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.

مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>.  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾<sup>(٣)</sup>.  
أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُحْيِنَا عَلَى هَدْيِ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

إِنَّ مِنْ أَجَلِّ مَا يَهَمُّ الْبَشَرَ قَاطِبَةً هُوَ قَضِيَّةُ الْمَرْأَةِ، وَقَدْ تَخَبَّطَ الْبَشَرُ قَدِيمًا فِي مَعَالِجَةِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، فَلَمْ يَهْتَدُوا فِيهَا إِلَى الْمَعَالِجَةِ الصَّحِيحَةِ، وَكَانَ مِنْهُمْ مَا كَانَ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢. (٢) سورة الأحزاب، الآيةان: ٧٠، ٧١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١.

من استعباد للمرأة واضطهاد لها وتعسف في حقوقها، إلى أن جاء الإسلام؛ فرد لها اعتبارها، وأنزلها المكانة التي تستحقها، ورفع شأنها كإنسان له كامل الحقوق والاعتبارات، وأوصلها إلى أرقى مستويات الإجلال والإكبار والاحترام!!!.

والإسلام حين أعطى المرأة حقوقها الحيائية والاجتماعية والثقافية؛ إنما أعطاها كل ذلك حين شرع الأحكام التي تتضمن جميع ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذه الأحكام للمرأة تقضي بلزوم بناء شخصيتها على منهج الإسلام.

ومن هنا كان بناء شخصية المرأة المسلمة من الواجبات الإسلامية؛ إذ لا يمكن أن تمتلك المرأة المسلمة جميع الخصائص التي فرضها الإسلام لها وهي فاقدة لشخصيتها، ففقدتها لشخصيتها يخسرها الكثير من حقوقها وخصائصها وإن الضحايا من الملمات اللواتي فقدن شخصيتهن كثيرات، وإن الأسرة لتصدع من ذلك، كل هذا يجعلنا غير مبالغين إذا قلنا: إن الخطر يزحف نحو الأسر المسلمة من جراء ذلك. وإن مما يزيد في خطورته أن موجة الفساد والتضليل والخداع للمرأة عموماً وللمسلمة خصوصاً، على امتداد متواصل، حيث ساعد عليه غفلة المسلمين وضعف وعيهم لأخطار انمحاق شخصية المرأة المسلمة في أجواء الميوعة المنتشرة في حياتهن، فترى الكثيرات مُشغولات بالمظاهر الفارغة، وبالقضايا الجانبية التافهة، وترى غيرهن مصروفات إلى إذكاء المشاكل العائلية وهن غير مُباليات بالأخطار التاجمة عنها، كل هذا للفراغ الذي ملأ حياتهن لعدم وجود الشاغل الأهم والأكبر، ألا وهو بناء الشخصية الإسلامية للمرأة المسلمة المعاصرة.

ولو أدرك المسلمون عموماً والملمات خصوصاً أهمية ذلك، لكانت المبادرة إلى بناء الشخصية الإسلامية لدى المرأة ظاهرة واضحة، غير أننا لا نرى ظهورها إلا لدى القليلات جداً، ولهذا القليل آثاره في المجتمع - والله الحمد - فكيف يكون حال الملمات لو كان بناء الشخصية الإسلامية لديهن قائماً على قَدَمٍ وساقٍ؟!..

ومهما يكن الحال في واقع المرأة المسلمة، فإنّ العلاج لا يزال ممكناً بإذن الله تعالى، ولكن بشرط الجدّة فيه والمبادرة إليه والمثابرة عليه؛ لأنّ الزّمن يجري سريعاً، ولا ينتظرنا؟!.

ومن سبل بناء الشخصية الإسلامية لدى المرأة المسلمة تقديم الدراسات الجادة في هذا الخصوص - وقد قام الدكتور محمد علي الهاشمي بإعداد كتاب بعنوان: «شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة» - ثم القيام بإقامة ندوات علمية تُطرح من خلالها البحوث عن مناهج وأصول «بناء شخصية المرأة المسلمة»، وقد بذلت الكثيرات من الأخوات المؤمنات الدعايات في سبيل ذلك جهداً مشكوراً!.

وهذا الكتاب الذي أقدمه بعنوان «معالم شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة» مساهمة في هذا المجال الهام في حياة أمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا وبناتنا، وعمّاتنا وخالاتنا، وبنات الأعمام وبنات العمّات، وبنات الأخوال وبنات الخالات، وبنات جميع المسلمين؛ ليكونَ لهنّ نبراس نور، ومنهاج عمل، يترسّمن من خلاله المنطلق الصحيح لتحقيق هذا الهدف الكبير.

إنّ تعريف المرأة المسلمة بمكوّنات «شخصيتها الإسلامية» من فروع الدّعوة الإسلامية الشّاملة العامّة؛ ولهذا يجب على الدّعاة القيام به بكلّ الوسائل المتّاحة في حمل الدّعوة وتبليغها، ويحضرنى أنّ الدكتور أحمد بن محمد بن عبد الله أبا بطين، قدّم رسالة لنيل شهادة الدكتوراه من كلية الدّعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، بعنوان «المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسؤوليّتها في الدّعوة» [ط دار عالم الكتب بالرياض] وهذا ممّا يُبشّر بخير كبير في هذا الخصوص، فإنّ المسؤولية في ذلك تقع - بالدرجة الأولى - على عاتق العلماء والدّعاة والباحثين والدّارسين؛ ليقدّموا المزيد من الدراسات المتخصصة في بناء الشخصية الإسلامية لدى المرأة المسلمة، وممّا لا يخفى أنّ عمدة هذا البناء هو العلم بالإسلام «عقيدة وشرعة وأخلاقاً وآداباً وسلوكاً»، ولقد أحسن الدكتور العلامة عبد الكريم زيدان في تأليفه المبارك النافع! «المفصل في أحكام

المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية»، الذي يقول في الغرض من تأليف هذا الكتاب: «تعريف المرأة المسلمة بأحكام دينها، لا سيما المتعلقة بها، وما يجب عليها باعتبارها مسلمة، فإذا عرفت ذلك كان المطلوب منها العمل بما علمت؛ لأن العلم يُراد للعمل به وإن كان متقدماً عليه، قال الله تعالى: ﴿فَاعَلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾»<sup>(١)</sup> فإذا تم لها العلم بأحكام الإسلام والعمل بها؛ لزمها واجب الدعوة إلى ما علم. أي الدعوة إلى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي﴾»<sup>(٢)</sup>، وبهذا تكون المرأة المسلمة صالحة في نفسها مُصلحة لغيرها، وهذا هو المطلوب من كل مسلم ومسلمة، وهذا هو الغرض من تأليف هذا الكتاب»<sup>(٣)</sup>.

هذا وإن الله تبارك وتعالى قد أكرم النساء فساوى بينهن وبين الرجال في أصل التكليف، وضمن لهن جميع ما يُحقق القيام بمسؤولياتهن، فمنع أباءهن وأولياءهن وأزواجهن أن يحولوا دون قيامهن بمسؤولياتهن، ففسح لهن المجال للتحصيل العلمي والمشاركة في شهود صلاتي العيدين وصلاتي العشاء والفجر، وشهود صلاة الجمعة، والمشاركة في المجالات الاجتماعية والسياسية وشرع لها العمل لكسب رزقها في حالات فقد المعيل أو عجزه، كل ذلك في دائرة رعاية الإسلام لكرامتها وآدابها وأخلاقيها.

وإن المجتمع الإسلامي يفتقر إلى وجود دواعي إلى الإسلام في صفوف الفتيات، ليُقمن ببناء شخصياتهن بناءً إسلامياً متكاملًا، فإن هذا من أهم المتطلبات الإسلامية المعاصرة.

وتتكون الشخصية لدى الإنسان - رجلاً كان أم امرأة - من عنصرين هامين؛ العقلية والنفسية. أما الشكل الخارجي القائم على الهندام، فلا علاقة له ببناء الشخصية لديه، فإن الشكل الخارجي يندفع به البسطاء من الناس. فصاحب الشخصية يتميز عن سواه من أصحاب الظواهر المُلفتة للنظر،

(٣) [المفضل، ج ١/٧].

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

بعقليته المتوقّدة وتفكيره المستنير، وبنفسيته الظاهرة من دنس كل رذيلة، ومن قُبْح كل سوء؛ فهذا الذي يُمَيِّزُ بينَ الإنسانِ الذي يملكُ الشخصيةَ الكريمةَ الفاضلةَ، وبينَ الإنسانِ الذي هُدِرَتْ شخصيتهُ لهوى مُتَّبِعٍ، أو لشهوةِ جامحةٍ. وإنَّ استقامةَ الإنسانِ على المنهجِ السَّويِّ والأخلاقِ الفاضلةِ والآدابِ الحسنةِ، تُنبِئُ عن اتزانِ شخصيتهِ وتكاملِها.

والسلوكُ الذي سَلِمَ من خَوَارِمِ المُرُوَّةِ، يُضفي على صاحبِ الشخصيةِ صفاتٍ خاصةً من الصَّلاحِ، ما يجعلُهُ قُدوةً حسنةً للنَّاسِ. إنَّ بمقدورِ كلِّ امرأةٍ مسلمةٍ بناءَ شخصيتها بناءً إسلامياً، إذا جعلتِ القرآنَ والسَّنةَ مقياساً لمفاهيمها ولميولها؛ تدورُ مَعَهُمَا حيثُ دَارَا، وتُقرُّ ما أقرَّاهُ، وتردُّ ما ردَّاهُ، وتُحبُّ ما رَغِبَا فيه، وتكرهُ ما كَرِهَاهُ، وتلتزمُ بأوامرِهِمَا، وتُجْتَنِبُ مَا نَهَيَا عَنْهُ.

فهذا مجملُ طريقِ بناءِ الشخصيةِ الإسلاميةِ لدى المرأةِ المسلمةِ - ولدى الرَّجلِ المسلمِ - وهي طريقةُ رسولِ الله ﷺ، وبذلك تكونتُ لدى الصَّحابةِ والصَّحَابِيَّاتِ الشخصيةُ الإسلاميةُ التي فتحوا بها العالَمَ.

ولقد اشتملَ الإسلامُ بكتابهِ الحكيمِ وسُنَّتِهِ النَّبَوِيَّةِ على جميعِ الأنظمةِ التشريعيةِ والمعالجاتِ الاجتماعيةِ التي احتاجها البَشَرُ في حياتهم المعاشيةِ، ولم يدعُ جانباً من جوانبِ الحياةِ إلَّا كانتُ له فيها نَظَرَتُهُ الخاصَّةُ، وتشريعُهُ المستقلُّ بحيثُ ينتجُ من مجموعِ أنظمتِهِ تشريعٌ متكاملٌ لمناحي الحياةِ كُلِّها!! قال الله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>.

وينتجُ من تطبيقِهِ على النَّاسِ أُمَّةٌ متكاملةٌ الشخصيةُ متميِّزةُ الملامحِ والسلوكِ عن سائرِ الأمم!! قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

والأُسُسُ الأخلاقيةُ والقواعدُ التشريعيةُ السَّاميةُ التي اشتملَ عليها دينُ الإسلامِ برهانٌ واضحٌ على أنَّ مصدرَهُ من عندِ الله تبارك وتعالى.

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١١٠.

(١) سورة المائدة، الآية : ٣.

ولهذا كانت الرابطة بين أفراد المجتمع الإسلامي رابطةً ولأى الله تبارك وتعالى، ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ ۝٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝٥٦﴾ (١). وقال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٢).

إنَّ الأساس الذي يُبنى عليه المجتمع الإسلامي هو «رابطة العقيدة» التي تُشكِّلُ الأصرة التي تربط الأفراد في المجتمع، وليس لرابطة القومية ولا الوطنية ولا القبلية أيُّ أثرٍ في الرابطة الإسلامية؛ لاعتبارها رابطةً مستقلةً متميزةً عن جميع الروابط التي تقوم على أساسِ التفعية المادية، فهي أقوى الروابط وأمتنها وأبقاها، وقد ندَّدَ الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم بمن أثرَ رابطة الوطن والأهل والأقارب على العقيدة، وامتدَّحَ الذين ضحَّوا بكلِّ ذلك في سبيل عقيدتهم الإسلامية، فيقول سبحانه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

ولقد فرض الإسلام على المسلمين جميعاً - رجالاً ونساءً - التكافل الاجتماعي في بناء الدولة الإسلامية، وهو من قوانين الاجتماع الراقي، ومن المقومات التي تُوقِّرُ الحياة السعيدة الكريمة للأمة، وتُوقِّرُ لها المناخ الملائم لأداء دورها في الحياة؛ إذ أنَّ شعورَ أفراد الأمة الإسلامية بحمل مسؤوليتهم جميعاً عن تصرفات الأفراد - رجالاً كانوا أم نساءً - وأنَّ كلَّ واحدٍ منهم حاملٌ لتبعات أخيه المؤمن وأختها المؤمنة، ومحمولٌ على أخيه، ومحمولةٌ على أختها؛ فكلُّ يُسألُ عن نفسه، ويُسألُ عن غيره. كلُّ ذلك لا يتحقَّقُ إلا بالشخصية

(١) سورة المائدة، الآيتان : ٥٥ - ٥٦. (٣) سورة المجادلة، الآية : ٢٢.

(٢) سورة التوبة، الآية : ٧١.

الإسلامية التي يتصف بها الرجال والنساء، على حد سواء، كلٌّ منهم من موقعه وعلى قدر طاقته، وفي حدود إمكانيته، حيث ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾<sup>(١)</sup>.

إنَّ التشريعات الإسلامية التي جمعت بين الروح والمادة، فأثبتت كلاً منهما في الإنسان بما يُناسبها، ووقرت السعادة والطمأنينة في الحياة الدنيا، وأزالت القلق عن النفوس من المستقبل مع مُراعاة الفطرة وتلاؤمها معها؛ لبرهان واضح على سموها على جميع التشريعات الوضعية البشرية المضطربة؛ لكونها منزلة من خالق الكون والإنسان الذي أودع فيهما أسرارَه وأقداره!!.

إن أبحاث هذا الكتاب تعرضُ بدقة علمية المناهج العملية لبناء الشخصية الإسلامية لدى المرأة المسلمة باعتبارها نصف المجتمع؛ فتكوين شخصيتها إسلامياً تكويناً للمجتمع المسلم المتكامل المتضافر المتعاون على البر والتقوى!!!.

هذا وإني لأشكرُ صاحبني دار المعرفة في بيروت: الأستاذ محمد إبراهيم فولادكار، وأخيه الأستاذ عدنان إبراهيم فولادكار، المكرمين اللذين يقومان بخدمة الكتب الإسلامية، على المستوى اللائق بمكانتها، وبالأسعار المعتدلة لقاء العناية البالغة في إخراجها إخراجاً صحيحاً ودقيقاً، وكتابي هذا واحدٌ من إخراجيهما المبارك، زادهما الله تبارك وتعالى توفيقاً ونجاحاً في خدمة الإسلام والمسلمين؛ آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق في سحر يوم ٥/ صفر/ ١٤١٨ هـ

خادم العلم الشرعي

خالد بن عبد الرحمن العك

غفر الله تعالى له ولوالديه ولجميع المسلمين

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.